

خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

١ من جمادى الأولى ١٤٣٦ هـ / ٢٠ من شباط ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارضى اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين.

من اعتمد على علمه ضلّ، ومن اعتمد على عقله اختلّ، ومن اعتمد على سلطانه ذلّ، ومن اعتمد على ماله قلّ، ومن اعتمد على الناس ملّ، ومن اعتمد على الله، فلا ضلّ ولا قلّ ولا ملّ ولا ذلّ ولا اختلّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عزّ وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷺ في القرآن الكريم: ﴿وَلَيْسَتَعْفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُعْغِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣].

معاشر الإخوة: إن الإسلام حريص على طهر العلاقات بين الشباب والفتيات والرجال والنساء في الأسواق والجامع والبيوت والشوارع، ومن حقه أن يطمئن إلى سلامة النيات وبراءة المنتقيات، ومن حقه تحصين المعاملات من دسائس الغريزة الجنسية، حتى لا تجد متنفسها إلا في بيوت الزوجية.

من المشكلات المضنية للبشر أن الغريزة الجنسية تُولد وتتحرك وتقوى في سن اليافعة، أي حوالي الخامسة عشرة من العمر، أي قبل اكتمال القدرة العقلية واستطاعة النهوض بأعباء الزواج ورعاية الأسرة ومعاملة الصاحب الآخر بعدالة وشرف.

إن الزواج ليس تنفيساً عن ميل بدني فقط، إنه شركة مادية وأدبية واجتماعية، تتطلب مؤهلات شتى، وإلى أن يتم استكمال المؤهلات وضع الإسلام أسس حياة تكفل الطهر والأدب للفتيان والفتيات على سواء.

إن ضبط السلوك والسير في طريق العفاف والطهر وغيض البصر كل ذلك يؤتي ثماراً طيبة في بناء المجتمع على الفضائل، ثم يجيء الزواج الذي يحسن التفكير به، كما يحسن تجريده من تقاليد الرياء والترف والكلف التي برع الناس في ابتداعها فكانت وبالاً عليهم.

يا سادة: إن من غرائب السلوك الإنساني أنه هو الذي يصنع لنفسه القيود المؤذية، وهو الذي يخلق الخرافة ثم يقدها، وإنك ترى المسلمين في أقطار شتى جعلوا الحلال صعب المنال، وفتحوا الأبواب

لوسائل الإغراء كي تُهيج الساكن من الغرائز، ولسنا نَدري -نعم ولسنا ندري- مقدار الشر الاجتماعي الذي يمكن أن نجعل تأخير الزواج مسؤولاً عنهم، في الوقت الذي نجد به العالم قد ابتدع كل طريقة يمكن تصورها لإثارة الرغبات وإشباعها.

وحرصاً على سلامة المجتمعات من الميوعة والانحلال حدث النبي الأكرم ﷺ صاحب العفاف والفضيلة الشباب إلى ضرب باب العفاف والفضيلة، وذلك في الحديث الذي رواه الجماعة: ((يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للطرف وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء)).

إن غض البصر أدب رفيع، وحصانة من الانزلاق إلى مهاوي الرذيلة، وعلى المجتمعات كلها أن تدرك حدود الله، وأن تحرسها بذكاء وتلطف، وأن تَضَع نُصْبَ عَيْنِهَا تيسير أبواب الزواج، فإذا ما عرفت المجتمعات الطريق إليه أصبح الزواج مارداً جباراً يَحْمِي البيوت وَيَحْفَظ الأُسْر الناشئة، ويوفر لها كل أسباب الازدهار.

والشارع كي يكون رمزاً للعفاف والطهارة يَنْبَغِي أن يتعاون الجالسون والمارون فيه على سحق التحرش والكلمة البذيئة والنظرة الجريئة، والعمل على هداية المخطئ باللطف والكلمة الطيبة، عندما يسلك الناس هذا المسلك فلن يبق في الشارع شاذ ومتهاون، ولن تجد الرذيلة مهرباً تختبئ فيه.

السمة الملحوظة لأهل زماننا أنهم راضون عن أنفسهم مُسارعون في أهوائها، وهو يرون أن رغباتهم المادية والمعنوية يَنْبَغِي أن تُجَاب وأن تُزال من أمامها العوائق، فشاع تدليل الطفولة في ميدان التربية، وشاع بعد ذلك تَرْك الغرائز المختلفة تتلمس طريقها بالحياة دون حرج أو دون رهبة، وتغيرت مفاهيم الأدب وضوابط السلوك في أرجاء شتى كي تتجاوب مع لون هذه الحياة الجديدة، ولسنا بصدد البحث عن أسباب الاضطراب العام، وكل ما يَنْبَغِي هنا أن نُشَدِّد حدود الحق الذي دُرست ونوقف الناس عندها، نُريد تحسين الحسن وتقبیح القبيح وفق منطق الدين وهدى الوحي، ثم نسوس النفوس لتألف ما هو حسن وتترك ما هو قبيح، وتعلم أن اكتمالها ومرضاة الله عنها في التزام هذا وحده.

حاجة النفس الإنسانية إلى التزكية والتهديب مثل أو أشد من حاجة العقل إلى الصقل والتثقيف.

إن الشهوات التي تحتاج إلى رقابة وضبط زمام كبيرة وهي مُتفاوتة الحدة في آحاد الناس، ولكن أصولها ناشبة في حياتهم على العموم، هناك حب النفس، وحب النساء، وحب المال، وحب الظهور، هذه مثلاً

غرائز ما يخلو البشر من مبادئها، وقد تجد البعض في حبه لنفسه لا يُبصر غيرها، ولا يتحرك إلا بهواجس الأثرة وحدها، وقد تجد آخراً مفتوناً بالثراء، يدأب في ليله ونهاره على جمع المال، يعيشه لذاته دون رغبة في بذله مهما تطلبت الحقوق، وقد تجد آخر على الرغم لحاجته إلى المال يبذله، من أجل أن تطير سمعته، ومن أجل أن يشتهر بين الناس، أو في سبيل سمعته يتسلق الوعر ويتوسد الجمر، ومن الناس من يهيم وراء الغيب كأنه ظمآن لا يجد الریابة، وإلى هذه المكاسب والإغراءات أشار القرآن بقوله سبحانه: ﴿رُزِينِ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤] وعلى مبادئ هذه الغرائز تتعلج الحياة الإنسانية في بقائها ونشاطها، ومن طش هذه الغرائز تفسد الأرض وينتشر الهرج والمرج وتُصاب الأعراض وتُسفك الدماء، وعلى طول الخط الطويل الممتد من المهد إلى اللحد يُواجه الإنسان أموراً شتى تحتاج إلى فؤاد يقظ وبصيرة نيرة، وانطلاقاً من ذلك وقف كبار العلماء والأطباء والمفكرين يُحذرون من ظاهرة الميوعة والانحلال وتفسخ الأخلاق الذي تشهده كثيرٌ من المجتمعات.

لقد صرح "جورج بالوشي" في كتابه "الثورة الجنسية" قائلاً: (الآن بعد أن كانت مخاوفنا تهدأ من الخطر الذري، وتستريح للتصالح بين القوى العظمى، ألا يوجد حوافز بشرية تحت القلق البالغ إلى الأهمية البالغة التي يكتسبها الجنس في حياتنا اليومية؟ أَل نشعر بالقلق إذ نرى أمواج الشهوات الجنسية لا تهدأ حتى تثور؟ إن القلقين على مستقبل العالم وفضائله يشعرون بأن أطنان من القنابل الجنسية تفجر كل يوم وينشأ عن انفجارها دمار واسع).

وكتب "جيمس رستون" في "نيويورك تايمز" قائلاً: (إن خطر الطاقة الجنسية قد يكون في نهاية المطاف أكبر من خطر الطاقة الذرية).

ويُلفت المؤرخ "آرنولد توينبي" النظر إلى أن سيطرة الغرائز الجنسية على السلوك والتقاليد يُمكن أن تؤدي إلى تدهور الحضارات.

إن البهيمية مذهب معروف عند الخلق، وهو أخطر كطريق إلى خزي الدنيا وعذاب الآخرة، إنه لا يكلف أصحابه إلا حب الراحة وطلب اللذة، والاحتفاء بالنزوات العابرة، والاهتياج مع الشهوات الثائرة، وإبداء

الرأي دون عقل، وإرسال الحكم دون عقل، وتفضيل عاجل رخيص على آجل غال.

من هنا كان الزواج الذي شرعه الله عز وجل لعباده قَلْعَةً مَتِينَةً تصون الأخلاق وتحفظ الأنساب، ولا يَخْفَى بما في هذا الزواج من اكتساب يجعل الأولاد يَفْخَرُونَ لِآبَائِهِمْ، فيشعرون بالاستقرار النفسي والكرامة الإنسانية، ولو لم يكن هذا الزواج الذي شرعه الله لَعَجَّ المجتمع بأولاد لا كرامة لهم ولا أنساب، وفي هذا طعنة نجلاء للأخلاق الفاضلة، وانتشارٌ مُرِيعٌ للفساد والإباحية.

هناك صيحات كانت خافتة أصبحت ترتفع شيئاً فشيئاً، وهي تَمْتَرُجُ بالأنين والحسرة، تلك الصيحات تَشْتَكِي وتتلّم من الطاعون الذي صُبَّ عليها وبُليت به وهو "جهاد النكاح"، هناك الكثيرون تَوَرَّطُوا بتزويج بناتهم إلى مُرتزقة شيشانيين وسعوديين وغيرهم، وبعد هذا الزَّواج الفاسد يُفقد الزوج، ويبحث عنه أصحاب العلاقة فلا يَجِدُوهُ، لماذا؟ لأنه إما لاذ بالفرار بعد أن انتهك الأعراض، وإما لقي حتفه تحت أقدام الشرفاء المدافعين عن أوطانهم وأعراضهم، ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه: ماذا يُجيب الولد في المستقبل إذا سُئِلَ: من أبوك؟ من أبوك؟ من أبوك؟ فهل يسكت، أم يُجيب قائلاً: إنه شيشاني مرتزق.

معاشر الإخوة: إن الفساد والميوعة والانحلال الذي تشهده المجتمعات بأسرها، ولا سيما من جراء الحروب التي ضَرَبَت العديد من البلدان العربية خدمة لبني صهيون، إن من أول مساوئ الحروب التي تعاني منها الشعوب والأمم: أن الأعراض تُهْتَكُ، وأن القيم تُداس، وأن الفضائل تذهب سدى، والحرب التي شنت علينا -مع الأسف- هَدَرَت الكثير من الأعراض، كم من فتاة سورية طاهرة باعها المرتزقة في مخيم "الزعتري" في الأردن، وفي مخيمات "أردوغان" القذر، وبغيرها من الأماكن، وإنك لتبكي دماً عندما تسمع أن امرأة كانت موصوفة بالعفاف والطهر والحشمة تبيع عرضها وكرامتها من أجل حفنة طعام، لكي تُطعم أولادها، قَبَّحَ اللهُ كل من نادى بالثورة، قَبَّحَ اللهُ كل من يعتقد بهذه الثورة التي هي عورة، قَبَّحَ اللهُ كل من عمل على هتك الأعراض والقيم، قَبَّحَ اللهُ كل من أحاج أي امرأة أن تبيع عرضها وكرامتها من أجل مال زهيد ومن أجل متاع قليل.

والتواصل الاجتماعي -هذا الذي يُسمى بالتواصل الاجتماعي من خلال الانترنت والفيسبوك- ليس هذا بتواصل اجتماعي، هذا تواصل فساد، هذا قطع العلاقات بين العائلات، هذا الذي جعل جسور الرذيلة تمتد بين البيوت والمدن والأحياء، هذا التواصل جعل القيم تنهار، لماذا؟ لأننا أمة لا نُحْسِنُ ضبط الأشياء التي بين أيدينا، لأننا أمة رأينا شيئاً بعد قلة، لأننا أمة لا نُفَكِّرُ بالتطور والحضارة والعلم، وإنما نُفَكِّرُ وهوأجسنا دائماً بالرذيلة والميوعة والانحلال.

إذا أجرينا إحصائية، كم عدد الذين يستخدمون التواصل الاجتماعي لبناء الأخلاق؟ كم هو عددهم؟ كم عدد الذين يستخدمون التواصل الاجتماعي للبناء والعلم والحضارة والتقدم والرفي؟ كم هو العدد. إن المجتمعات بأسرها تُعاني ما تعاني من فساد وميوعة وانحلال، وإن الإسلام ضَبَطَ هذه الأمور بقواعد تقوم على الفضيلة والأخلاق والقيم.

يا سوريون: إن الحرب التي طال أمدها علينا والتي آلمت الأطفال أولاً، ثم النساء، ثم الرجال، ثم الشيوخ، هذه الحرب لا يمكن أن تنطفئ ما لم يكن عندنا وعي وحب وغيره على أهلنا على بعضنا البعض نحن كسوريين، وعلينا أن نستيقظ، وعلينا أن نسأل بعضنا البعض، وعلينا أن يسأل كل واحد منا نفسه: هذه ثورة التي جاء بها المرتزقة والخنثاة، ماذا قدمت للشعب العربي السوري؟ نعم، يجب علينا أن نسأل أنفسنا هذا: ماذا قدمت هذه الثورة الخائنة الثائرة الفاسدة للشعب العربي السوري؟

مُنذ أيام قليلة كُنْتُ في أحد مراكز الإيواء، وهي مُهجرة من المناطق التي يَسْتولي عليها المرتزقة الخنثاة الذين يقومون على خدمة بني صهيون بدون مقابل، كَم تَأَلَمْتُ عندما وجدت أطفالاً والرَّيحُ الباردة تَعْصف أجسادهم الغضة؟ كم تألمت وأنا أجد امرأة تقوم بإرضاع ولدها على قارعة الطريق، فقلت: هذه كانت تجلس في بيتها مُعززة مكرمة، من الذي هجرها؟ هذه كانت تنعم بالأمن والأمان والاستقرار طيلة حياتها، من الذي شردها؟ من؟ قولوا لنا من؟ أَلستم أنتم أيها الكذبة الخونة، يا أصحاب قنوات التضليل الإعلامي، أَلستم أنتم من مول هؤلاء المرتزقة الذين أخرجوا هؤلاء الأبرياء من بيوتهم ومن بلدانهم ومن أحيائهم؟.

على السوريين أن يدركوا أن هؤلاء أهلهم وإخوتهم، والمخطئ والمتهور وصاحب العقل الأعوج عليه أن يرجع إلى رُشده، لا تكونوا خداماً لأردوغان، لا تكونوا خداماً لآل سعود، لا تكونوا خداماً للقطريين، لا تكونوا خداماً لأمريكا وفرنسا وبريطانيا، تعالوا لنخدم بعضنا البعض، بالحب، بالكلمة الطيبة، بصيانة بعضنا البعض، وأن نرجع جميعاً هؤلاء المشردين إلى بيوتهم، وإلى أحياءهم، وإلى قُراهم، حتى يعيشوا كما كانوا آمنين مستقرين في سوريا بلد الأمن والأمان والاستقرار، وسيبقى إن شاء الله هذا الوطن شامخاً بعزته وكبريائه، وسيبقى بلد أمن وأمان واستقرار إلى يوم الدين، لأن النبي ﷺ هو الذي بشرنا بذلك، إن في

ذلك لذكرى لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطبة الثانية ٢ —————

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ وَصَفِيَهُ وَخَلِيلَهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.
عِبَادَ اللَّهِ اتَّقُوا اللَّهَ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَاقُوهُ، وَأَنَّ اللَّهَ غَافِلٌ عَنْكُمْ وَلَا سَاءَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا فَإِنَّكَ بِنَا رَحِيمٌ، وَلَا تَعَذِّبْنَا فَإِنَّكَ عَلَيْنَا قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا فَوْقَ الْأَرْضِ وَتَحْتَ الْأَرْضِ وَيَوْمَ الْعُرْضِ عَلَيْكَ، رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَنْصُرَ الْجَيْشَ الْعَرَبِيَّ السُّورِيَّ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تُثَبِّتَ الْأَرْضَ تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ، وَأَنْ تُسَدِّدَ أَهْدَافَهُمْ وَرَمِيَهُمْ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ تَكُونَ لَهُمْ مُعِينًا وَنَاصِرًا، اللَّهُمَّ وَفَّقِ السَّيِّدَ الرَّئِيسَ بَشَّارَ الْأَسَدِ إِلَى مَا فِيهِ خَيْرُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، وَخُذْ بِيَدِهِ إِلَى مَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

مَدِينَةُ رِيفِ مَشْرِقِ